

د. ديفيد تيرنر، إنجيل متى، المحاضرة 4أ – إنجيل متى 6-7: الصلاة والهموم وأمور أخرى

مرحباً، معكم ديفيد تيرنر. أهلاً بكم في محاضرتنا الرابعة من إنجيل متى. عملنا مُجهّز اليوم في هذه المحاضرة لأننا نريد التطرق إلى بعض النقاط المهمة في إنجيل متى، الإصحاحان السادس والسابع. لذا، دون مزيد من اللغط، من الأفضل أن نبدأ

عند قراءتنا لإنجيل متى، الإصحاحان ٦ و٧، لاحظوا في مُخطط المواد التكميلية، الصفحة ١٧، أننا قسمناه إلى حوالي خمسة أقسام. وسنحاول تسليط الضوء على بعض النقاط المهمة في كل قسم. أولاً، يسوع يتحدث عن الدين الحقيقي والمُزيّف في متى ٦: ١-١٨

لاحظ في الصفحة ١٨، أننا شرحنا هيكلية النص، حيث يعرض يسوع تعاليمه حول ثلاثة واجبات دينية، أساسية للمجتمع اليهودي المسيحي في إنجيل متى. المبادئ العامة المذكورة في الآية ١، ثم في الآيات ٢-٤، مسألة الصدقات أو الإحسان للفقراء، وفي الآيات ٥-١٥، مسألة الصلاة، وفي الآيات ١٦-١٨، مسألة الصوم مترابطة. في كل مرة يُعالج فيها أحد هذه الواجبات، يظهر نمط مشابه

، لاحظ في الصفحة ١٨، أن يسوع يحرم أولاً الدين النفاقي ونشاطه المُتباهي بدافع خاطئ لنيل إعجاب الآخرين، ويؤكد جهاراً أن لهم جزءاً، مقارنةً بالدين الحقيقي المأمور به. يجب أن يُمارس هذا النشاط سراً ليراه فقط الآب، الذي سيُكافئ المؤمن في الوقت المناسب. لذا، فإن تحليل المقطع شيقٌ للغاية، وبنيتة مُكررةً إلى حدٍّ كبير، حيث يُعلن يسوع أولاً هذا المبدأ العام، ثم يتناول ثلاثة مجالات رئيسية للنشاط الديني

من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن ما يفعله يسوع هنا، مرة أخرى، يواصل توضيح المقصود عندما قيل للتلاميذ في الآية ٥: ٤٨ أن عليهم الاقتداء ببر أبيهم، وأن يقتدوا بما هو أعظم من بر القادة اليهود في الآية ٥: ٢٠. المبدأ العام المنصوص عليه في الآية ٦: ١ يربط البر بنية التلاميذ. على التلاميذ أن يحذروا من الأعمال الدينية التي تُرتكب بقصد إثارة إعجاب الناس، لأن الأعمال التي تُرتكب بقصد إثارة إعجاب الناس لن تُكافأ من الآب السماوي. والآن، مسألة الأداء الديني وجمهوره المناسب

يسعى تلميذ يسوع إلى الكمال كما أن الآب السماوي كامل. هذا يعني أن القداسة تنبع من الداخل إلى الخارج. يجب أن تكون شخصية التلميذ على غرار شخصية الآب، وأن يكون أداء التلميذ راضياً عن أبيه

هذا يتعارض بلا شك مع تقاليد الثقافة الغربية، التي غالباً ما تتسم بالاستعراض والتباهي. الشعار العالمي هو: إن كنت تملك شيئاً، فتباه به. وقد تسلل هذا إلى الكنيسة تماماً كما تسلل إلى معابد اليهود في زمن يسوع

لكن يسوع لم يكتفِ بدعوة تلاميذه إلى فعل الصواب، بل أرادهم أيضاً أن يفعلوه بالطريقة الصحيحة. عندما يتعلق الأمر بالعتاء، قد لا نباهي به اليوم، لكننا غالباً ما ننشر أسماء من يبذلون أكثر من غيرهم

لا شك أن هذا يُخالف المبدأ الأساسي لهذا المقطع، ويُغفل درس فلس الأرملة في مرقس ١٢: ٤١-٤٤. ففي مسألة الصلاة، غالباً ما يُخلط بين البلاغة والإسهاب والفعالية. وهذا يُوحى بأن الله يجهل احتياجاتنا ويتردد في تلبيةها

، فيما يتعلق بالصيام، نميل إلى تجاهله تماماً، لكن المساعي الدينية المماثلة، التي نعتقد أنها فوق واجباتنا غالباً ما تحظى بتغطية إعلامية واسعة. في المجالات الثلاثة المذكورة في متى ٦: ١-١٨، نُذكر بأن كسب

تصفيق جماهير اليوم العابر يعني فقدان رضا أبينا السماوي غدًا وإلى الأبد. الدرس الذي يجب تعلمه هو أن التلاميذ يكتفون بملاحظة الآب، مدركين أن رضا الجماهير لا يُهم في ضوء الأبدية.

إن إعطاء المحتاجين لنيل الشهرة ليس عطاءً على الإطلاق، بل هو دفعٌ لنيل رضا الناس، وهو بذلك يُفقد الرضا الإلهي. انظر كتاب "بلומר، المُعلّق القديم"، المنشور عام ١٩١٥، صفحة ٩١

ينبغي علينا الآن أن نخصص وقتًا طويلًا لصلاة الرب هنا، ولا نستطيع تخصيص الوقت الكافي، لكننا سنحاول نموذج الصلاة: صلاة الرب هي في الواقع الصلاة النموذجية لتلاميذه. فهي لا تُقدم لهم تعويذة يرددونها بلا تفكير أو خرافة، بل مثالًا لأولويات ملكوت الله في الصلاة.

من المفيد أن نفكر في الآيتين 6: 9 و 10 على أنهما تشيران إلى الشخص الذي تُوجّه إليه الصلاة، وهو الآب السماوي، والأولويات التي تُشكّل بها الصلاة، أي مجده. أما الشخص الذي تُوجّه إليه الصلاة، فهو يُوصف بأنه أب. ولا شك أن علاقة المرء بأبيه البشري تُلوّن نظرتَه إلى الآب السماوي

في عصرنا هذا الذي يشهد تفككًا أسريًا، قد يكون من المفيد إدراك أن علاقة المرء بأبيه البشري قد تُسهم أو تُعيق إدراكه لله كأب سماوي. الله هو أبونا أيضًا، وهو في السماء. هو أبونا لأنه اقترب منا بنعمته، وهو أبونا في السماء لأنه يبقى بعيدًا عن أبنائه لمجده الذي لا يُدنى منه

كونه أبانا يقودنا إلى الألفة والتواصل. إنه ليس أبًا لأحد، بل هو أبانا. وهو ليس أبي في عزلة فردية عن الآخرين الذين يعرفونه

إنه ملكٌ لجميع التلاميذ. وجوده في السماء يدفع تلاميذه إلى الاقتراب منه برهبة وإجلال. يستحق الله كل الاحترام، فهو الذي يجمع بين الخير والعظمة، والنعمة والقدرة، والقرب والتسامي

عند الدعاء، يجب أن يوازن المرء بين فضله وعظمته، لتجنب العاطفة المفرطة من جهة، واللامبالاة المتشددة من جهة أخرى. وفيما يتعلق بأولويات الصلاة، الآيتان 6: 9 و 10، يجب أن يضع المرء نصب عينيه أن دافعه لا ينبغي أن يكون تلقي الخيرات والخدمات من الله، بل خدمة الله. فالصلاة ليست في المقام الأول دفاعًا عن قضايانا، أو تلبية احتياجاتنا، أو إشباع رغباتنا، أو حل مشاكلنا

يجب ألا نتسرع في التوجه إلى الله بقائمة رغباتنا الروحية ونطلب إشباعًا فوريًا. بل يجب أن تكون أولوياتنا هي إعلاء اسم الله أو سمعته، وترقية ملكوته أو حكمه، وتحقيق مشيئته. هذه الطلبات الثلاث هي في جوهرها طلب واحد

كلُّ منا لديه رغبةٌ مُلِحَّةٌ ينبغي أن نملكها لرؤية الآب مُكرِّمًا على الأرض كما هو مُكرِّمٌ بالفعل في السماء. بمشاركتنا في مقاصد الله، نبدأ مُسبقًا بإدراك تلك الأولويات. لكننا نتوق أيضًا بشكلٍ متزايد إلى اليوم الذي نتحقق فيه أولويات الله بالكامل على الأرض

يغزو ملكوت الله مملكة الشيطان كلما آمن الناس بيسوع المسيح. ويأتي الملكوت أيضًا عندما ينمو تلاميذ يسوع في علاقاتهم مع الله ومع جيرانهم. ليس الملكوت مجرد مستقبل، ورجاء التلاميذ ليس هروبًا من الواقع

إنهم لا يتطلعون إلى مغادرة الأرض بحثًا عن حياة سماوية أُثريّة، بل يبحثون عن حياة ملموسة تحل فيها السماء على الأرض، كما يسعون إلى مصالح السماء على الأرض اليوم. من المفيد التفكير في متى ٦: ١١-١٥. فيما يتعلق بالمشكلات التي يصلي التلاميذ بشأنها في ١١: ١٣، والمبدأ الذي يحكم صلواتهم في ١٤: ١٥. يصلون من أجل مشاكل تتعلق بالمؤمن اليومية، والمغفرة، والحماية في ١١: ١٣

أثناء صلاتهم، يُدَّكَرُون أنفسهم بأنه لولا غفران الله لهم، لما كانوا يصلُّون أصلاً. ويستجيبون لله بمغفرة الآخرين (٦: ١٤-١٥). عندما يصلي التلاميذ طلباً للمؤونة، فإنهم يصلُّون طلباً للخبز اليومي، الذي يُمثِّل ضروريات الحياة لا كمالياتها. في العصور التوراتية، كان العمال يُدفع لهم أجورهم يومياً

انظر الإصحاح ٢٠، الآية ٨. عندما يصلي الإنسان من أجل خبزه اليومي، فإنه يطلب من الله احتياجاته العاجلة. في متى ٦: ٢٥، يُطلب من التلاميذ ألا يقلقوا بشأن هذه الاحتياجات، وفي ٦: ٣٤، يُطلب منهم ألا يقلقوا حتى بشأن الغد. بل عليهم أن يثقوا بأبيهم ثقةً تامةً في كل شيء

عندما يصلي التلاميذ طلباً للمغفرة، فإنهم يدركون أنهم بنعمة الله أصبحوا الآن أفضل مما كانوا عليه، لكنهم ليسوا على قدر ما ينبغي. التلاميذ ليسوا كاملين بعد، وعليهم أن يدركوا أن مواقفهم وأنشطتهم لا ترقى إلى معايير الملكوت. وإذ يعترفون بفقرهم الروحي وجوعهم وعطشهم إلى البر (متى ٥: ٣ و٦)، فإنهم يصلون إلى الله ليغفر لهم زلاتهم الأخلاقية عن شريعته

إن نيل عفوهِ امتياز لا يُوصف، ولكنه يترتب عليه مسؤوليةٌ مقابلة، وهي منح العفو للآخرين. فالشخص المُغفور له هو شخصٌ متسامح. وعندما يصلي التلاميذ طلباً للحماية من إغراء الخطيئة، فإنهم يصلون إلى الله ليكسر هذه الحلقة المفرغة التي كثيراً ما تُؤرقهم

يُغري التلاميذ بالعالم والجسد والشیطان. الإغراء يقود إلى الخطيئة، والخطيئة تدفع إلى ضرورة الصلاة طلباً للمغفرة. وتستمر الدورة

لهذا السبب يُصلُّون طلباً للحماية من الإغراء والنجاة من مكائد الشرير. قارن استراتيجية يسوع في متى ٤: ١-١١. عندما يُصلي التلاميذ بشأن مشاكلهم، تُحكم طلباتهم بمبدأ

كما أن طلبات مجد الآب مبنية على مبدأ "على الأرض كما في السماء"، فكَذلك طلباتهم لاحتياجاتهم مبنية على مبدأ "لقد غفرنا للمذنبين إلينا" (6: 12، 6: 14، 6: 15). (لا يجوز للتلاميذ أن يزعموا أنهم يطلبون من الله المغفرة إن لم يغفروا للآخرين. لن تتم المصالحة مع الله بمعزل عن المصالحة مع الجيران، كما تعلمنا في 24، 23: 5.

لا يحق لأحد أن يدعو للمصالحة الإلهية إن لم يمارس المصالحة الإنسانية. ليس معنى ذلك أننا نستحق غفران الله بمسامحتنا للآخرين، بل أننا نُظهر أن الله قد غفر لنا عندما نسامح الآخرين. قارن المثل في ١٨: ٢١-٣٥.

أودُّ أن أتحدث اليوم عن صلاة يعبيز وكتاب الأخ ويليكنسون. بالنسبة لي، مهما كانت قيمة هذا الكتاب، سألتزم بهذه الصلاة النموذجية التي تركها لنا يسوع. علينا أن نتأمل في مدى تطابق صلواتنا اليوم مع صلاة ربنا النموذجية

إذا فعلنا ذلك، فسُؤُتي صلاة يعبيز ثمارها. ننتقل الآن إلى الإصحاح السادس، الآيتين ١٩ و٣٤، وكيفية تعاملنا مع الممتلكات المادية. على سبيل التحليل، نجد في هذا المقطع تداخلاً بين الوصايا التي تُنتهى عن القلق والمادية، والوصايا التي تدعو إلى الإيمان بأن الله سيُسدِّي احتياجاتنا

يُقسَّم البعض النص إلى جزأين، الأول عن المادية (٦: ١٩-٢٤)، والثاني عن القلق (٦: ٢٥-٣٤). (أصعب جزء في النص هو ٦: ٢٢-٢٣، فهو ليس صعب الفهم بحد ذاته فحسب، بل يصعب ربطه بالسياق أيضاً. بشكل عام

ليس نص متى ٦: ١٩-٣٤ مُهيكلًا بوضوح كأجزاء العظة السابقة. لكن يُمكننا فهم بنيته الأساسية إذا لاحظنا تكراره لثلاثة أمور.

أولاً، تحريم الأنشطة المادية والأفكار المقلقة، كما في الآيات ٦: ١٩، ٢٥، ٣١، و٣٤. ثانياً، حث على الانضمام إلينا في وضع أولويات الملكوت في سلوكنا وتفكيرنا، الآيات ٦: ٢٠ و٣٣. وأخيراً، الدوافع والأقوال والأمثال والأسئلة البلاغية التي تدفعنا نحو الطاعة، الآيات ٢١-٢٤، ٢٦-٣٠، ٣٢، والجزء الأخير من الآية ٣٤.

ترتبط الآيات ٦: ١٩-٣٤ ارتباطًا وثيقًا بجزء الاحتياجات الإنسانية في صلاة التلاميذ، وخاصةً طلب الخبز اليومي. لذا، فهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بما رأيته سابقًا. والآن، هذه الأنواع الثلاثة من العبارات التي ذكرتها المحظورات، والتحذيرات، والدوافع، مترابطة بشكل متكرر يعزز تعاليم يسوع.

بدلاً من السعي وراء الماديات، علينا أن نسعى وراء أولويات الملكوت نظراً لعبثية القلق ويقيننا برعاية الآب: ولشرح بعض الأفكار الرئيسية في هذا المقطع بإيجاز، يتناول يسوع في إنجيل متى الإصحاح السادس مسألتين الرياء الديني في الآيات ١-١٨، والمادية القلقة في الآيات ١٩-٣٤. يحث الجزء الأول من الإصحاح على أداء الواجبات الدينية على الوجه الصحيح، بينما يؤكد الجزء الثاني على الأولوية في تلبية احتياجات الإنسان الدنيوية.

يدعونا كلا جزأي الإصحاح إلى وضع الله في المقام الأول. يُذكرنا ديفيز وأليسون، في تفسيرهما، أنه بعد أن صلينا صلاة يسوع، كيف يُمكننا أن نبقى قلقين؟ يُعلّمنا في الآيات ٦: ١-١٨ أن نعيش لمكافأة الآب، لا لتصفيق الجموع. صلواتنا هي أولاً للتعبير عن حماسنا لمجد الله، وثانياً للتعبير عن اهتمامنا باحتياجاتنا.

ثم نُعلّم في الآيات ١٩-٣٤ أن عناية أبينا السماوي أعظم بكثير من عنايته بالطيور والزهور. ومن المفارقات أنه إذا طلبنا ملكوت الآب أولاً، فستُلبى احتياجاتنا. سننال ما لم نطلبه.

لكن إن سعينا أولاً لتلبية احتياجاتنا، فلن يختلفوا عن الوثنيين الذين لا إله لهم يعلم ما يحتاجون. يتوقع منا أبونا، كأبنائه، أن نضعه في المقام الأول، لكنه يُسرّ بتلبية احتياجاتنا. يجب ألا يسمح التلاميذ لاحتياجاتهم بالسيطرة على صلواتهم وأفكارهم وأنشطتهم.

هذا قلة نضج. ولكن من ناحية أخرى، يجب ألا يظن التلاميذ أن الله لا يهتم باحتياجاتهم. هذا أمر لا يُصدق.

يجب على التلاميذ أن يُعطوا الأولوية لولائهم لله، وحكمه، ومعاييره العادلة. وبذلك، سينالون كل ما يحتاجونه من طعام ولباس، كمزايا إضافية. ولكن إذا أصرّوا على إعطاء الأولوية لاحتياجاتهم الخاصة في صلواتهم وأنشطتهم، فلن يختبروا فرحة الراحة في رعاية الآب وتديره.

عبّرت كاتبة الترنيمة، كارولينا بيرج، عن الأمر هكذا: يا أبناء الآب السماوي، اجمعوا إلى حضنه سالمين. لم يُمنح قطّ فرحٌ، ولا نجمٌ في السماء، ملجأً كهذا. سنختم تأملنا في الآيات ٦: ١٩-٣٤ بهذه الكلمات.

هناك الكثير مما يجب قوله، ولكن هذا كل ما لدينا من وقت. ننتقل الآن إلى القسم الأول من الآيات ٧: ١-٦ وهو مقطع يصعب متابعته. يبدو أن إصدار الأحكام، أي الرقابة المستمرة على الآخرين، هو موضوع الآيات ٧: ١-٥. يشير كينز، في تعليقه المنشور عام ١٩٩٩، صفحة ٢٤٠، ببراعة إلى أن هذا التحريم لإصدار الأحكام مرتبط بالأمر السابق بمسامحة الآخرين في الآيات ٦: ١٢-١٥. أما تعاليم يسوع حول كيفية التعامل مع الناس في الآيات ٧: ١-٦، فتُقدم طرفين متناقضين.

أولاً، هناك تحذير من إصدار الأحكام في الآيات ٧: ١-٥، والذي يمكن تحليله على أنه تحريم أولي في الآيات ٧: ١، مدعوم بدافع لاهوتي في الآيات ٧: ٢، وتوضيح فكاهي مبالغ فيه في الآيات ٧: ٣-٥. ثم هناك تحذير موجز من نقيض إصدار الأحكام، وهو السذاجة. في الآيات ٧: ٦، يتخذ هذا التحذير شكلاً أدبياً من التوازي الانطوائي، أي أن الخنازير هي التي ستدوس اللآلئ، والكلاب هي التي ستلتفت وتهاجمكم. الآن، جوهر المقطع هو إصدار الأحكام المنافق مقابل التمييز الحقيقي.

تتميز سورة متى ٧: ١، على نحو مشكوك فيه، بكونها من أكثر الآيات التي يُساء تفسيرها في العهد الجديد. تُقدم ما بعد الحداثة الآن أساساً فلسفياً متطوراً لمن شددوا دائماً على النسبية والذاتية، وأنكروا وجود مبادئ أخلاقية مطلقة يُمكن الاستناد إليها في صياغة أحكام مطلقة عن الصواب والخطأ، والخير والشر. وتُعدّ سورة متى ٧: ١ الآية المفضلة لدى هؤلاء.

لكن بحسب السياق، قد تشير كلمتا "الدينونة" و"الحكم" إلى التحليل والتقييم، أو الإدانة والعقاب. فالتلمذة تتطلب حتماً أحكاماً ثابتة على الأفراد وتعاليمهم. وتشير العديد من النصوص إلى ذلك.

٧: ٣، ٥: ٢٠، ٦: ٢٤، ٧: ٦، ١٣: ١٠، وما يليها ١٣: ٥١. يُصدر يسوع نفسه هذه الأحكام مرات عديدة. ١٠: ٤، ٦: ٢، ٥، ٧: ٢١ إلى ٢٣، ١٠: ٨ إلى ١٢، ١٣: ١٠ إلى ١٣، ١٥: ١٤. لذلك، لا يُحرم يسوع هنا ما يُجيزه في مواضع أخرى، بل يُوضّحه في مواضع أخرى.

ماذا ينهي عنه؟ حسناً، إنه ينهي عن إصدار أحكام صارمة ونقدية، تُمعن النظر في الآخرين دون حتى النظر إلى الذات. هذا المعيار الصارم سيعود ليطارد من يُدين الآخرين به. لقد تعلم الملك داود هذا الدرس بصعوبة بالغة في سفر صموئيل الثاني ١٢: ١-١٥. يُعلّم يسوع أن التأمل الذاتي الصادق والصادق شرط أساسي للتمييز الواضح والأحكام الأخلاقية العادلة.

ستكون هذه الأحكام في نهاية المطاف بناة، لا عقابية، لأن تلاميذ يسوع لن يطالبوا بالعين بالعين، وسيحبون أعداءهم. ٥: ٣٣-٤٨. لا ينبغي لتلاميذ يسوع أن يكونوا مُفتشّين مُنتقدين، ٧: ١-٥، ولا سُدجاً سُدجاً، ٧: ٦. يجب اعتبار أولئك الذين يرفضون الإنجيل بشراسة ويستمرون في ازدراؤه أعداءً خطرين للملكوت، ويمكن لأفعالهم الشريرة أن تُلحق ضرراً كبيراً. يُجسد يسوع هذا في هذا الإنجيل.

على التلاميذ أن يحذروا من هؤلاء. لكن ما لم تُزل الخشبة عن أعيننا، كما هو الحال، فلن نتمكن من التمييز بين مؤمنٍ لديه مشكلة بسيطة نسبياً وعدوٍّ سيُلحق ضرراً كبيراً بالملكوت. لذلك، علينا أن نُجري تأملاً ذاتياً حقيقياً، وإلا فقد نرتكب خطأً فادحاً في جانب النفاق المُصدر للحكم أو السذاجة المُفرطة.

إذا جهلنا أنفسنا، فسنكون غالباً متكبرين تجاه الآخرين، وستؤدي هذه النتيجة إلى كارثة. سيلاحظ القارئ المتمعن لهذا المقطع أن النبوة اللطيفة والإيجابية في الآيات ٧-١١ تُقدم تغييراً مُرحباً به عن المحظورات العديدة التي سبقتها. فالأوامر تُؤدي إلى الطمأنينة.

معايير الملكوت عالية، ولكن لا ينبغي تشجيع التلاميذ أو القلق بشأن السعي وراءها. فالله أفضل بكثير من أفضل الآباء البشر، وهو يعد بتلبية احتياجات عائلته. نجد حجة مماثلة باستخدام الصور الأنثوية في إشعياء ٤٩: ١٥. والآن، ننقل إلى متى ٧: ٧-١٢، حيث تأتي هذه الآيات في صيغة تضمين، مع عبارة "أبوك يعطي من يسأل" في ٧: ١١، و"اسألوا تُعطوا" في ٧: ٧. هاغرن مُحق في أن ٧: ٧-١١ ظاهرياً تتعلق بالصلاة، وليس لها أي صلة واضحة بالسياقات السابقة أو اللاحقة.

مع ذلك، يحاول علماء آخرون إيجاد صلة في الموضوع المشترك المتعلق بكيفية معاملة الناس. إذا كان الأمر كذلك، فإن المقطع يُعلّم أنه يجب معاملة الناس بفضيلة، لا بإصدار الأحكام أو بسذاجة، بل بنفس الكرم.

الذي أظهره أبونا السماوي في استجابة الصلوات. قد يكون هذا مفيداً، لكنه ليس واضحاً كما نتمناه، ويصعب ربط الآيات ٧: ١١-٧: ١١ بالسياق السابق.

حسناً، ماذا يقول يسوع عن الصلاة؟ لنشرح بإيجاز الآيات ٧: ١١-٧: ١١. يمكن اعتبار الآيات ٧: ١١-٧: ١١ بمثابة ملحق للصلاة النموذجية في الآيات ٦: ٩-١٣. هذه الصلاة مبنية على حقيقة أن الواجبات الدينية تؤدي لعين الله وحده (٦: ٤، ٦، و ١٨). (الله يرى ما يفعل سرّاً، وسيكفي تلاميذه. بالإضافة إلى ذلك، أكد يسوع لتلاميذه أن أباهم السماوي يعلم احتياجاتهم حتى قبل أن يسألوه عنها في الآيتين ٦: ٨ و ٦: ٣٢. لذا، فقد عُلم مسبقاً أن الله مطلع على تلاميذه واحتياجاتهم).

وبناءً على ذلك، فإن الآيات ٧: ١١-٧: ١١ تذهب أبعد من ذلك بالتأكيد على أن الله يعلم أن احتياجات تلاميذه ستستجيب بالتأكيد لصلواتهم من أعماق صلاحه (٧: ١١). (في خضم تجاربهم، غالباً ما يُغري تلاميذ الملكوت بالاعتقاد بأن الله يجهل مشاكلهم واحتياجاتهم. هذا أمر مفهوم تماماً، ولكنه خطأ مطلق، وقد دحضته الآيات ٦: ٨ و ٦: ٣٢. أبوكم السماوي يعلم. ومع ذلك، حتى عندما نكون على يقين من أن الله يعلم احتياجاتنا، نتساءل أحياناً عما إذا كان الله قادراً على تلبية صلواتنا).

لكن الآيات ٧: ٧-٨ توضح جلياً أن الإجابة آتية لا محالة. سننالها. وحتى عندما يؤمن التلاميذ أن الله يعلم وسيجيب، قد يشككون في أن الإجابة ستكون جيدة، لكنهم يجدون العزاء في تأكيد لطف الله في الآيات ٧: ٩-١١. أبوكم السماوي سيمنحك عطايا صالحة.

الله ليس جاهلاً، ولا عاجزاً، ولا حاقداً، ولا فاعل شر.

يجب تعلّم هذه الحقائق وإعادة تعلّمها يومياً في خضم التجربة المسيحية. أمامنا جميعاً الكثير من العمل في هذا الصدد. وأخيراً، الجزء الأخير من إنجيل متى، الإصحاح ٧، حيث نجد التحذيرات الثلاثة.

يمكن تقسيم إنجيل متى ٧: ١٣-٢٧، خاتمة العظة، إلى أربع فقرات: ١٣-١٤، ١٥-٢٠، ٢١-٢٣، و ٢٤-٢٧. إلا أن الدينونة الواردة في ٢٣-٢١ مرتبطة بوضوح باللغة المجازية في ٧: ١٥-٢٠. لذا، فإن ٧: ١٥-٢٠، أفعال الأنبياء الكذبة، مرتبطة في ٧: ٢٣-٢١ بأقوالهم، ولا يوجد سوى ثلاثة أقسام في ٧: ١٣-٢٧. تُشكل هذه الآيات تحذيراً صارماً يقدم ردّين متناقضين على العظة في شكل ثلاث استعارات. تُشبه هذه الاستجابات المتناقضة اتخاذ أحد بوابتين، وثمره إحدى شجرتين، وبناء أحد بيتين على أساسين مختلفين.

لقد قدمنا لكم جدولاً في الصفحة ١٩، يحاول توضيح الثنائية الأخلاقية لهذه المادة. أي أنها عبارة قوية عن طاعة الله ويسوع أو معصيتهما. ويوضح لكم ذلك هناك، ونأمل أن يكون ذلك مفيداً في تعليمنا أنه لا يوجد حل وسط.

هذه هي النقطة. لا يوجد حل وسط. لا يوجد حل وسط، فهناك طريقان فقط.

من الصعب تخيل بوابات أو طرق الآيتين ٧: ١٣ و ١٤. يعتقد البعض أن المرء يسلك الطريق ثم يصل إلى البوابة، لكن هذا يعكس ترتيب المصطلحات كما وردت في النص. مع أنه ليس من الضروري الإجابة على هذا السؤال لتكوين الصورة، إلا أنه من المفيد تخيل جدار ببوابة ضيقة وبوابة واسعة.

يمكن للمرء أن يدخل من الباب الواسع بسهولة، وبمجرد دخوله، يكون طريق اللاقانون ممهداً، ولكن فجأة كما لو أن جسراً قد انهار دون سابق إنذار، يصل إلى الجحيم. انتهى الطريق الواسع الذي بدا وكأنه يعد بالحرية بالدمار والانفصال عن الله. من ناحية أخرى، عندما يتخذ المرء الخطوة الصعبة المتمثلة في دخول الباب الضيق، قد يكون طريق التلمذة شاقاً للغاية، ولكنه فجأة يُدخِل إلى الحياة الأبدية.

الطريق الوعر الذي هدد بالهلاك انتهى إلى الحرية، والمشاركة في حياة الله. هذان البابان والطريقان يُشيران بوضوح إلى أن من لا يتوب عن الخطيئة إلى الله يسلك طريقاً سهلاً، لكنه يقود إلى أصعب غاية يمكن تصورها. أما من يسلك طريق الملكوت الصعب فيصل إلى أفضل غاية ممكنة، حيث يختبرون الغاية القصوى في حياة الآب.

شجرتان. كلمات يسوع الواضحة في ٧: ١٥-٢٣، التي تُميز بوضوح بين نوعين من الفاكهة ونوعين من الأشجار، تبدو غامضة في بعض الأوساط. أحياناً، يميل المسيحيون الإنجيليون إلى استبدال ثنائية يسوع الخلاصية الصارمة بفكر النعمة الرخيص، الذي يقول إن كثيرين ممن بنعمون بالطريق الرحب سينتهي بهم المطاف بطريقة ما في الملكوت مع أولئك الذين خاضوا رحلة التلمذة الشاقة.

من المدهش أن يكون هناك أي جدل حول سيادة المسيح وخلاصه، خاصةً إذا نظرنا إلى الآية ٧: ١٥ وما بعدها. في موضع آخر من إنجيل متى، تُستخدم استعارة "الثمرة" عادةً للدلالة على أن أسلوب الحياة المستقيم وحده هو الذي يتوافق مع التلمذة. احصل على معجمك وابحث عن الثمر في إنجيل متى، وسترى.

يتفق متى مع يعقوب ٢: ٢٦ على أن الإيمان بدون أعمال ميت. وبينما لا ينبغي تشديد هذا التعليم بإضافات قانونية وكمالية، لا ينبغي أيضاً تخفيفه بمعارضة القانون. حتى بولس، الذي يُقابله بانتظام معارضو القانون: شدد مراراً على ضرورة المثابرة في الأعمال الصالحة، لا على خيارها، في مقاطع مثل رومية ٢: ١٣، ٣: ٨، ٨: ٢٥، ١١: ٢٢، ١٣: ١٤، غلاطية ٥: ٦، أفسس ٢: ١٠ و ٤: ١٧، كولوسي ١: ٢٣، تيطس ٢: ٧ وما بعدها.

لكن تركيز الأشجار الصالحة والطالحة في متى ٧: ١٥-٢٣ ينصب على الأنبياء الكذبة، الذين لا يُشبهون بالأشجار الطالحة التي تُثمر ثماراً رديئة فحسب، بل أيضاً بالذئاب التي تتخفى في صورة خراف. هذا التمييز خادع للغاية. فالذئاب قادرة حتى على القيام بأعمال تشبه أعمال الخراف، من نبوءة وطرده أرواح شريرة. ومعجزات، ولا تتردد في التباهي بسيادة يسوع.

الوضع قاتم، لكن هناك حل. يمكن كشف هؤلاء الذئاب المتخفين في صورة خراف عندما تُفحص أعمالهم، المصورة كثمار، وفقاً لمعايير العظة. إذا كانت أنشطتهم الأخلاقية تتعارض مع قيم الملكوت الموضحة هنا، فيجب تحديدهم وكشفهم على أنهم أنبياء كذبة.

بغض النظر عن إنجازاتهم الكاريزماتية الباهرة، قارن بين متى ٢٤: ٢٣-٢٨ وتثنية ١٣: ١-٥، ستجد أن خدماتهم لن تؤدي إلا إلى تحويل التلاميذ المحتملين عن طريق التوبة إلى الحياة، إلى طريق الجحيم المُخالف للقانون. علينا أن نحذر من هؤلاء الأنبياء الكذبة. مع ذلك، من الخطأ الاستنتاج من هذا التحذير ضد الأنبياء المُخالفين للقانون أن متى ينظر دائماً نظرة سلبية إلى الأنبياء والأنشطة الكاريزماتية.

هذا لا يناسب تماماً، وهناك أمور إيجابية تُذكر عن الأنبياء في مواضع أخرى. المثال الأخير، التحذير الثالث يُقارن بين بنائين أو أساسين. صورة التلمذة كبناء بيت في متى ٧: ٢٤-٢٧ مؤثرة جداً، وتوجد في مواضع أخرى من الكتاب المقدس، كما في تثنية ٢٨: ١٥-٣٠، وأمثال ١٠: ٢٥، وخاصةً حزقيال ١٣: ٨ وما يليه.

ينطبق هذا التشبيه أيضاً على يومنا هذا، إذ نسمع باستمرار عن مشاكل الإسكان الناجمة عن سوء الصنعة والمواد الرديئة، والتي تظهر جليةً في أوقات الطقس القاسي. ولكن ما الفرق بين البناء الحكيم الذي يبني بيتاً متيناً والإسكافي الجاهل الذي يبني بيتاً رديئاً؟ في تشبيه يسوع، يكمن الفرق في طاعة التلاميذ الحكماء الذين يتصرفون بناءً على ما يسمعون من معلمهم، مقابل تقاعس السامعين الراضين الذين لا يفعلون شيئاً. فالأولون يبنون بيتاً خالداً على الصخر، بينما يبنون الثاني صرحاً مهلكاً على الرمال.

للمرة الثالثة، صدر التحذير الواضح. لا الجموع القديمة التي سمعت عظة يسوع على الجبل، ولا القراء المعاصرون الذين يرون جوهرها اليوم في إنجيل متى ٥-٧، يجرؤون على الانسحاب دون تغيير، راضين. إن فعل ذلك في النهاية ليس نجاةً من العاصفة، بل انفصالاً أبدياً عن يسوع، ووصولاً إلى الجحيم.

فلننتبه لهذه التحذيرات، ولنتجاوز العاصفة، ولندخل الملكوت ونجد الحياة. لقد حُذّرنا. علينا أن نُعجّب بهذه الكلمات تمامًا كما تعجب سامعوها في الآيتين ٧: ٢٨ و ٢٩.

هذه هي كلمة الله الحي الموثوق بها من مسيحه ربنا يسوع المسيح.